أزمة الهوية الجزائرية في ظل التعدد اللغوي لنسيج الاجتماعي

The Algerian identitycrisis in light of the multilingualism of the social fabric

La crise identitaire algérienne face au multilinguisme du tissu social

زغلاش ليندة[1*]، قجة رضا[2]

تاريخ الإرسال:2021/03/05 تاريخ القبول: 2021/10/19 تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

يشهد الحقل اللغوي في الجزائر أزمة هوية لغوية يعكس تواجدا لغويا لا متجانس من منطقة إلى أخرى في النسيج الاجتماعي الواحد، مما أثر سلبا على تعليمية اللغة العربية وضعفا كبيرا في استخدامها، الأمر الذي جعل من دراسة العلاقة بين اللغة والهوية مهمة محورية خاصة في ضوء ما تمنحه دراسة بناء الهويات اللغوية وتشكيلها من وسائل تقلل من الآثار السلبية الناتجة عن صراع الهويات اللغوية المختلفة. لذلك هدفت هذه الدراسة لمعالجة جانب من جوانب هذا الواقع اللغوي من خلال الحديث حول مفهوم الهوية واللغة والعلاقة بينهما، كما سنشير إلى أسباب بروز هذه المسألة اللغوية وأهم العوامل التي أدت إلى ضعف الهوية وأثرها على اللغة العربية، وما موقف السياسات اللغوية من ذلك.

الكلمات المفتاحية: الهوية؛ اللغة؛ المسألة اللغوية؛ التعدد اللغوي.

Abstract:

The linguistic field in Algeria is witnessing a linguistic identity crisis that reflects a homogeneous linguistic presence from one region to another in the same social fabric, which negatively affected the teaching of the Arabic language and greatly weakened its use, which made the study of the relationship between language and identity a central task, especially in light of what it gives Studying the construction and formation of linguistic identities from methods that reduce the negative effects resulting from the conflict of different linguistic identities. Therefore, this study aimed to address an aspect of this linguistic reality by talking about the concept of identity and language and the relationship between them. We will also refer to the reasons for the emergence of this linguistic issue and the most important factors that led to the weakening of identity and its impact on the Arabic language, and what is the position of linguistic policies on that.

Key words: Identity - Language - Linguistic issue - Multilingualism.

Résumé:

Le champ linguistique en Algérie connaît une crise d'identité linguistique qui reflète une présence linguistique homogène d'une région à l'autre dans le même tissu social, qui a affecté négativement l'enseignement de la langue arabe et a grandement affaibli son usage, ce qui a fait l'étude de la relation. Entre langue et identité une tâche centrale, surtout à la lumière de ce qu'elle

*المؤلف الراسل

[1]Linda Zeghlache,University of Msila ,Sociology of public service quality :Algeria , linda.zeghlache@univ-msila.dz
[2]RedhaKadja, University of Msila , Sociology of public service quality : Algeria , Redha.kedja@univ-msila.dz

donne. Étudier la construction et la formation des identités linguistiques à partir de méthodes qui réduisent les effets négatifs résultant du conflit des différentes identités linguistiques. Par conséquent, cette étude visait à aborder un aspect de cette réalité linguistique en parlant du concept d'identité et de langue et de la relation entre eux. Nous ferons également référence aux raisons de l'émergence de ce problème linguistique et aux facteurs les plus importants qui ont conduit à l'affaiblissement de l'identité et son impact sur la langue arabe, et quelle est la position des politiques linguistiques à ce sujet.
Mots clés: Identité - Langue - Question linguistique - Multilinguisme.

مقدمة

تعد اللغة مكونا من مكونات الهوية الاجتماعية، فهي اللغة الرابطة بينهم والمعبرة عن انتمائهم للجماعة، وحاملة لتراثهم الثقافي الموروث عن الأجداد وأداة التفاعل والتشارك بينهم والكفيلة بالمحافظة على وحدة الجماعة واستمرارها وتطورها وصياغة نتاجها الثقافي، لذلك تسعى كل أمة للحفاظ عليها، فهي تمثل هوية مجتمعاتها وكينونتها الثقافية والحضارية ويقول محمد البشير الإبراهيمي عن ذلك: " لكل حضارة لغتها المعبرة عن محاسنها والكاشفة عن حقائقها، وكان لتلك اللغات أثر بيّن في بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتساع"، كما تبرز قيمة اللغة عند أعضاء الجماعة واستعمالهم لها على مدى قوة الهوية اللغوية وضعفها.

وهذا يجرنا إلى القول أن كل شيء يتغير، ويعرف مسارات جديدة وتحولات عميقة عبر التاريخ الطويل، فالأساس السوسيو- ثقافي قد يتعرض للتغييرات وتتبدل اللغة كما يتأثر الصفاء العرقي ويعرف الإقليم تحولات، هذا بالإضافة إلى أنه بالإمكان وفق السياق أن تتناقض هذه المرجعيات الهوياتية، وأن تتقاطع أو أن تتطابق، لهذا اتخذت التوجهات من موضوع الهوية قضية من قضايا المسألة اللغوية أثارت الجدل في ساحات النقاش على المستوى الفكري والسياسي والإعلامي ومنها الجزائر، إذ يسجل الدارسون والباحثون في الحقل اللغوي أنها تتميز بتوفرها على العديد من اللغات التي تتعايش بشكل أو بآخر، ويتمثل ذلك في تواجد الثقافة واللغة الأمازيغية بمختلف تنوعاتها واللغة العربية التي تعبر عن مرحلة حاسمة في تبني سكان شمال إفريقيا للغة العربية والدين الإسلامي، هذا إلى جانب تواجد اللغة الفرنسية التي فرضت على الجزائريين في الفترة الاستعمارية، ولعل التعايش بين هذه اللغات والثقافات لم يكن بسيطا بل معقدا، تتخلله فترات هدوء وفترات نزاع وصراع حادين.

ضف إلى ذلك ما أدت إليه المتغيرات الثقافية والاجتماعية في ظل العولمة التي يمر بها العالم من خلال الانسياب السهل للمعارف والمعلومات بين الأمم، جعلت هذه الأحداث من اللغة العربية تعاني ضعف أدائها الوظيفي في الحياة العامة برغم من وظيفتها المرسمة في الدستور الجزائري، نتيجة توسع اللغات الأجنبية وانتشار استعمالها واحتكار اللغة الفرنسية للقطاعات العلمية والتقنية في التعليم العالي، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل جاء من يدعوا إلى هجرها والاستعاضة عنها بلهجات محكية بذريعة أن هدف اللغة الأساسي هو التواصل بين أفراد المجتمع، ونتيجة لهذا التهميش المتعمد زادت حدة هذه الأزمة للمسألة اللغوية في غياب الإرادة السياسية الكافية لتنمية هذه اللغة الرسمية.

وأمام هذا المشهد اللغوي يتبادر إلى أذهاننا طرح عدة تساؤلات على النحو التالي:

- ما مفهوم الهوية؟ فيما تبرز قيمة العلاقة بينها وبين عامل اللغة؟
- هل للممارسات اللغوية الموسوم بالتعدد دور في خلق إشكالية الهوية في الحقل اللغوي؟
- فيما تتمثل أهم عوامل ضعف الهوية اللغوية العربية وأثرها على اللغة العربية؟
- هل كان للجزائر دور في مجال التخطيط لسياسة اللغوية؟ فيما تمثلت مساهماته على أرض الواقع؟
- ما هي الحلول المقترحة لتجاوز التأثير السلبي للممارسات اللغوية في سبيل خدمة اللغة العربية؟

1-تحديد مفاهيم الدراسة

نحاول فيما يلي أن نشير إلى مفاهيم الدراسة من خلال ما ورد عنها من قبل رواد ومفكرين بعرض أهم الأفكار الدالة والموجزة التي تساهم في وضوح أكثر لمحددات الدراسة.

1-1الهوية:

لغة: جاء في لسان العرب: قال ابن الأعرابي: هُوِيَّة أراد أهوِيَّة فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء... وفي الحديث: إذا عرستم فاجتنبوا هُوِيَّ الأرض وهي جمع هُوَّة وهي الحفرة والمطمئن من الأرض. والهوية: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية.

اصطلاحا: يعد موضوع مفهوم الهوية من المواضيع المثيرة للجدل...، حيث يذهب عدد من الباحثين في هذا المجال، إلى أن الهوية تخضع في تعريفها للعلم الذي يحقق فيها، وأن لكل علم تعريفه الخاص للهوية يختلف عن تعريفها في العلم الآخر.

ففي علم النفس تعرف الهوية على أنها: كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه، الاستمرار والثبات وعدم التغير. وفي علم الفلسفة تعرف على أنها: حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات. وفي علم الاجتماع كذلك لا يختلف مفهوم الهوية عما سبقه من العلوم، فالهوية عنده: عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية.(العاني، 2009، صفحة 42)

إذا قد يختلف كل علم عن غيره في استعمالات هذا المفهوم وفي أسلوب صياغته حسب اللغة الخاصة بكل علم، إلا أن جميع العلوم تتبنى مفهوما متقاربا للهوية وأنها جميعها متفقة على أهم شيء في تعريف الهوية، ألا وهو الخصوصية والتميز عن الغير، غير أن خليل نوري العاني يوضح أن الاختلاف الحقيقي في مفهوم الهوية عند أصحاب الأفكار والمذاهب السياسية والفكرية والعلمية المختلفة، وحتى هؤلاء ليس اختلافهم في المفهوم العام للهوية بقدر ما هو اختلاف في مقومات وعناصر الهوية وترتيب هذه المقومات أو العناصر حسب الأولوية والأهمية.

اما فيما يخص المفكر الفرنسي أليكس مكشيلي يعرف الهوية على نحو التالي: إنها منظومة متكاملة للمعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوة والشعور بها.(البديرات و البطانية، 2016، صفحة 34)، كما ان الهوية تعد نتاج للعلاقات الديناميكية بين الفرد والممارسات الاجتماعية اليومية ومنها الممارسات اللغوية، اذ يتم بناء الهوية

ويعاد بناؤها باستمرار. وتلعب اللغة، بوصفها عنصرا لهويتنا دورا أساسيا في العلاقات الثقافية واللسانية.(داود، 2018، صفحة 29)

ومنه نجد أن الهوية سمة إنسانية تميزه عن غيره من المخلوقات، ولا تولد معه وإنما تنمو بداخله بتعايشه في مجتمع ما، مستمدة من سمات هذا المجتمع فتحدد شكلها وألوانها، فهي نتاج اجتماعي بامتياز، بمعنى الإحساس بالانتماء إلى أركان الهوية التي هي الدين والثقافة والجغرافيا وغيرها، إلا أن اللغة تعد العنصر الأساسي في تشكل هوية أي أمة أو شعب من الشعوب.

1-2اللغة:

– لغة:ورد في قاموس علم الاجتماع لعاطف غيث تحت مادة اللغة: أنها جزء من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت وأنها نتاج اجتماعي: تمثل التجارب المتراكمة والراهنة والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي والتفكير ومعرفة الذات ومعرفة الآخرين وهي بذلك ضرورية للوجود الاجتماعي.(غيث، 1979، صفحة 266)

– اصطلاحا: لقد تعددت التعاريف التي تناولت مصطلح اللغة المعقد من مدرسة لأخرى ومن علم لآخر ومن بين هذه التعاريف نذكر منها ما يلي:

تعرف اللغة من حيث معناها العام بأنها عبارة عن مجموعة من الرموز تعارف الناطقون بها على دلالة ومعنى كل رمز منها، ويستعملونها في التفاهم بينهم. وهي أي اللغة تستخدم من قبل الإنسان بصورة دائمة (سواء كانت منطوقة أو مكتوبة) لأنها القناة الأساسية التي يتصل من خلالها الإنسان بالآخرين ويقيم بواسطتها تفاعله معهم، وينقل عبرها مشاعره وأفكاره للآخرين. (السيد، 1996، صفحة 44)

ويعرفها كمال بشر: اللغة ظاهرة اجتماعية أو نمط من أنماط السلوك في المجتمع شأنها في ذلك شأن أنماط السلوك الأخرى.(بشر، 1997، صفحة 157)أمادوركايم يعرف اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية بامتياز.(كالفي، 2006، صفحة 11)كما ورد عن ابن جني: أناللغةأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وفيما يخص ابن خلدون يذكر بأنها: عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة رد فعل لساني ناشئ عن القصد لإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتهم.(عبران، 2018، صفحة 206)

فيتبين لنا أن اللغة هي أداة التعبير عما يدور في الأذهان إذ تمكن الإنسان الاستفادة من قدرته على التعبير عن أفكاره ومشاعره بأسلوب رمزي معين. كما اعتبرها ابن خلدون ملكة في اللسان للتعبير عن المعاني لكل امة بحسب اصطلاحاتهم، فيبرز من خلالها فائدة اللغة التواصل والتعبير عما يجول داخل الإنسان ليفصح عنه باستعمال اللسان، حيث عده أداة ووسيلة للغة، وهو النمط الاجتماعي الذي استقرت عليه اللغة فهو يمثل السلوك السوي بالنسبة للأغلبية العظمى من أبناء الأمة الواحدة. كما تسعى اللغة إلى إشباع رغبات الفرد والتعبير عن أفكاره ومشاعره في المواقف الاجتماعية المختلفة، فهي من صنع الاجتماع الإنساني بوصفها ظاهرة اجتماعية ولهذا فهي نتاج العقل الجمعي، ومن خلال ما سبق

فاللغة ظاهرة اجتماعية وهي وسيلة للاندماج الاجتماعي، يشترك أفراد المجتمع في اتباعها ويتخذونها وسيلة للاتصال وأساس لتنظيم حياتهم الجمعية. واللغة تشتغل بوصفها محددا وبوصفها قرينة انتماء وبوصفها رمز من رموز المجتمع وسمة بارزة فيه وجزء لا يتجزأ من الهوية.

1-3المسألة اللغوية:

– لغة: المسألة: ج مسائل 1- مصدره: سأل. 2- حاجة. 3- مطلب، قضية.(جبران، 2003، صفحة 732)

لقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان" [الرحمن– 39] أي لا يسأل ليعلم منه ذلك، لأن الله قد علم أعمالهم. وقد ورد في (لسان العرب) تعريف لهذه الكلمة كما يلي: السول: ما سألته، وفي التنزيل العزيز قال: " قد أُوتيتَ سُؤلَكَ يا مُوسَى"، بمعنى أعطيت أمنيتك التي سألتها، وأسأَلتَهُسُؤلَتَهُ، أي قضيت حاجته، والسولة: كالسلة عن (ابن جني ت 392هـ) وأصل الصول الهمز عند العرب: استثقلوا ضغطة الهمزة فيه.

المسألة: يعني كلمة مسألة قطبية شائكة وتطرح عديد الأسئلة ويقابلها عدد كبير من الأجوبة في مجال اللغوي، بحكم أن الجزائر بلد يتميز بالتعدد اللساني.(محيوت، 2013، صفحة 4)

– اصطلاحا: المسألة اللغوية: يعرفها مقران شطة: أنها مجموعة من القضايا والمشاكل التي تصاحب الممارسات اللغوية لمجتمع معين، كالتجريب والتعليم والتخطيط اللغوي، والتعدد اللغوي... تتخذ هذه المسألة من الواقع اللغوي لبعض المجتمعات وضعا يستدعي إشارة النقاش فيها بمشاركة عدة أطراف قصد إيجاد حلول لها. هذا وليست المسألة اللغوية حكرا على جماعة معينة من النخبة أو المثقفين أو المختصين بل يجب على كل مواطن يتمتع بكامل صفات الإدلاء برأيه في هذه المسألة.

المسألة اللغوية أمن ثقافي وانسجام اجتماعي وعلى كل مواطن جزائري ضمان آمنه اللغوي والثقافي وانسجامه الاجتماعي، والإدلاء برأيه فيما يجب أن يكون عليه الوضع اللغوي الأمن، وفي اقتراح السياسة اللغوية في التخطيط اللغوي المنشود.(شطة، 2017، صفحة 176)

ومن هنا نجد أن المسالة اللغوية تتمثل في مجموعة من القضايا والمشاكل التي تصاحب الممارسات اللغوية لمجتمع ما، نتيجة ضعف عام يسري في كيان الأمة منها عوامل خارجية (الاستعمار)وعوامل داخلية ترجع إلى غياب التخطيط العلمي أو سوء الأحوال العامة، يترتب عليه ضعف شديد في الشعور بالانتماء اللغوي، ونشوء هذه الأزمة اللغوية الحضارية (المسالة اللغوية) المهددة لاستقرار المجتمعات العربية، مما يستدعي تضافر جهود من ذوي الاهتمام والاختصاص للوصول إلى حلول، من شأنها تحقق الأمن الثقافي وضمان آمنه اللغوي الذي يعكس الانسجام الاجتماعي ويحفظ للفرد هويته وانتمائه الاجتماعي.

1-4التعدد اللغوي:

يعد التعدد اللغوي ظاهرة إنسانية طبيعية قديمة أفرزتها ضروريات الحياة التي تستوجب التواصل الثقافي والتبادل المعرفي بين الحضارات فأصبحت بذلك ضرورة ثقافية اجتماعية تسير وفق ديناميكية اللغة، بفعل الامتزاج الحاصل بين اللغات قصد تبادل الثقافات تماشيا مع التطور العلمي الحاصل، ولا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات.

يعرفه محمد الأوراغي بقوله: "التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي Multililingusmie وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي، إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والايطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية. وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية.(قلاتي، 2018، صفحة 349)

التعدد اللغوي ظاهرة لسانية اجتماعية توجد في معظم بلدان العالم، وقد ازدادت جلاء واتساعا مع نظام الدولة الحديثة والعولمة، وللتعدد اللغوي أشكال مختلفة تتنوع حسب طبيعة اللغات وعلاقتها بالجماعة وانتشارها في المجتمع وتوزيعها الوظيفي الاجتماعي، ويؤكد خبراء اللغات والاقتصاد ان التجانس اللغوي شرط من الشروط الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية، وأن التشرذم اللغوي سبيل إلى التخلف وطريق إلى الضياع والتقاتل.(بضياف و لبوخ، 2016، صفحة 203)

ومنه يشير مصطلح التعدد اللغوي باختصار إلى استخدام الفرد لعدة أنظمة لغوية أو اجتماع أكثر من لغة في مجتمع واحد. في حين نجد المجتمع الجزائري من المجتمعات التي يتسم وضعها اللغوي بالتعدد وإن لم يقر ذلك بصفة رسمية، حيث يتعايش أغلب أفراده بأنماط تواصلية متعددة عربية فصيحة وعامية وامازيغية ولغات أجنبية ويخضع توزيعها لأيديولوجيات ثقافية ناتجة عن إرث لغوي معين.

2-اللغة والهوية

عرف مفهوم الهوية انتشارا مهولا، حيث اكتسح في بضعة عقود مجمل العلوم الإنسانية وفرض نفسه في تحليل حقائق جد متنوعة. وقد قام عالم النفس **إ.إريكسون** بدور مركزي في انتشار استخدام هذه الكلمة وتوسيع شعبيتها في العلوم الإنسانية وهو الذي صاغ تعبير (أزمة الهوية) لكن انتشار كلمة الهوية وتوسع استخدامها في علوم الاجتماع بالولايات المتحدة كانا بقدر أكثر في الستينيات وخاصة مع بروز مسألة الأقليات، وأهمهاالإفريقية. كما ظهرت تعابير متعددة مثل "أزمة الهويات" و"تركيب الهويات" و"الهويات المتعددة". (بلكا و حراز، 2014، صفحة 17)

كثر استعمال مصطلح الهوية من قبل الحركات الوطنية والسياسيين والمفكرين والإعلاميين محتلا حيزا معتبرا في الفكر الإنساني المعاصر، أسهب هؤلاء جميعهم في تفضيل دلالته ومعناه، وعموم ما ذهبوا إليه أن الهوية هي مجموعة من الخصائص المميزة للفرد أو الجماعة تنمي شعور الفرد بالانتماء إلى المجموعة، مما يخلق وعيا بتميز الجماعة/المجتمع واختلافها عن الجماعات/المجتمعات الأخرى، والهوية من هذا المنظور"هي وعي الإنسان بانتماءاته إلى مجتمع أو وطن أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام"(بضياف و لبوخ، 2016، صفحة 196)، فهي سمة إنسانية تميزه عن غيره من المخلوقات وتتعدد عناصرها من حيث الدين والثقافة والجغرافيا وغيرها إلا أن اللغة تعد العنصر الأساسي في تشكل هوية أية أمة أو شعب من الشعوب. وكل منهما-أي اللغة والهوية-مرتبط كل الارتباط بالعقل، وقد وجدت هاتان الخاصيتان مع وجود الإنسانعلى

الأرض وكل منها مركب يشتمل على أجزاء متداخلة لا يمكن فصل بعضها عن الآخر، فإذا كانت اللغة تشمل طرائق التفكير والتاريخ والمشاعر وإرادة الناس وطموحاتهم وشكل علاقاتهم، فإن الهوية هي هذه العناصر كليتها وتركيبها "فاللغة والهوية وجهان لعملة واحدة".(البديرات و البطانية، 2016، صفحة 34)

وللغة في هذا الشأن مركز خاص ومكانة واضحة في كل عصور التاريخ، كونها الرباط المقدس الذي يربط بين الأفراد والجماعات مهما اختلفت درجاتهم الثقافية والاجتماعية والحق أن اللغة هي الأداة الأولى التي تحفظ للمجتمع شخصيته وقوته التي توحد بين أهدافه وغاياته.(بشر، 1997، صفحة 374) ويؤكد خبراء العلوم الإنسانية بوجود أربع مسلمات أساسية ينبغي استحضارها عند معالجة مسألة اللغة وهي:اللغة وعاء للفكر وأداة للتفكير–وسيلة للتفاهم والتواصل الاجتماعي–عنوان الهوية للفرد والمجتمع–ترتبط اللغة بالثقافة والقيم الحضارية.(بلكا و حراز، 2014، صفحة 21)

وقد تناول **أنتوني ميليه** Antainemeillet التعريف وهو متأثر بفكر **ايميل دوركايم** عن التصورات الجمعية والوعي الجمعي، أكد أن اللغة واقعة اجتماعية أي ظاهرة اجتماعية وهو بذلك يشير إلى أن للغة وجود اجتماعي مستقل عن وجود الأفراد وسابق عليها. ولذا فإن اللغة تفرض وجودها على الفرد حيث يكتسب من خلالها تصورات الجماعة الجمعية، وعن طريقها يتحقق له الوعي الجمعي(السيد، 1996، صفحة 183) وبذلك يؤكد التعريف الذي صاغه **ميليه** بتحقق الوظيفة الثقافية للغة تبرز أهمية وظيفتها الاجتماعية باعتبار اللغة وسيلة لإقامة العلاقات والتواصل الاجتماعي بين الناس والتي تجسد الوعي الجمعي لدى الأفراد.

"والوعي يؤثر بالهوية وبانتماء الأفراد إلى الجماعة في سلوك الفرد والجماعة كلها، ويحدد دورهما الحضاري والإنساني المتميز، وعليه لا قيمة للخصائص المميزة للجماعة أو للمجتمع دون وعي أفراده بتلك الخصائص وانتمائهم له، ولا قيمة لذلك الوعي إذا لم يتحول إلى قوة تحمل الأفراد على العمل والقيام بأدوار متميزة ".

والهوية على هذا الأساس قد تخص شخصا بعينه وتسمى هوية شخصية فردية وهي تختلف من شخص لآخر، وقد تعني جماعة من الأفراد يشتركون في تلك الخصائص وتسمى هوية اجتماعية ويشكل هؤلاء الأفراد جماعة أثنية (عرقية) أو وطنا أو قوما، ومن هنا فالهوية الاثنية أو الوطنية أو القومية كلها أشكال من الهويات الاجتماعية، ذلك انها تدل على مجموعة من الخصائص أو المميزات المشتركة بين الأفراد (بضياف و لبوخ، 2016، صفحة 196)، والهوية الوطنية تنطلق من مجموعة مبادئ تسنها الأمة للحفاظ على أصالة شعبها وربطه بتاريخها وهناك هوية إسلامية: الإيمان بعقيدة هذه الأمة والاعتزاز بالانتماء إليها واحترام قيمها الحضارية والثقافية وإبراز الشعائر الإسلامية والتمسك بها والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية.(عبران، 2018، صفحة 204)أنها هوية متميزة عن غيرها من الهويات، وهذا التميز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمة مقومات بقائها ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها، فلا يذوبون في ثقافات أو هويات غيرهم من الأمم. (العاني، 2009، صفحة 45)

بينما تميزنا هويتنا الوطنية عن جميع الأمم الأخرى، لأننا انطلقنا من معطيات خاصة بنا: معطيات ثقافية معرفية وعقلية ومنطلق شمل العقيدة والقيم والتاريخ، تراث وحضارة، وإذا بحثنا في هويتنا نجد مصدرها القرآن الكريم ثم السنة النبوية، وعليه جاء الدستور ورسم لنا حدود ومعالم هويتنا:

المادة01: الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية، والمادة 02: الإسلام دين الدولة، والمادة 03: اللغة العربية لغة وطنية ورسمية، والمادة 04: اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية، فالدستور رسم حدود ونظام الجمهورية بشريعة إسلامية معتمدا لغة عربية واجهة للأمة وأمازيغية رابطة للأصل.(عبران، 2018، صفحة 205)ونحن نتذكر في هذا الشعار المنسوب إلى الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله " الإسلام ديننا- والعروبة لغتنا- والجزائر وطننا" فهو يرى الإسلام عاملا جوهريا من عوامل بناء الشخصية الجزائرية وحفظها من كل عوامل المسخ والتشويه التي قد توجه إليها. فالدين الإسلامي في الجزائر يعتبر أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا القومية لأنه لولا الإسلام لكانت الجزائر اليوم غير الجزائر بالأمس فالإسلام هو الذي جعل الجزائريين يصمدون هذا الصمود الرائع العظيم في وجه سائر محاولات الإبادة والمسخ التي سلطها الاستعمار الفرنسي على الشخصية الجزائرية طوال 132 عاما.(تركي، 1982، صفحة 305)

فلا ننسى أن العقيدة الإسلامية كمرجع أول ومصدر أساسي لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا وولائنا ونهضتنا، كونه المقوم الأهم والأكبر الذي جمعنا مع مختلف شعوب وقوميات وأمم العالم الأخرى الداخلة في الدين الإسلامي حيث ينطوي تحت لوائها كل مسلم أيا كان لونه أو لغته أو المكان الذي يتواجد فيه، فتحيل الجميع تحت معتقد واحد هو الإسلام وتحت مسمى واحد هو المسلمون.(العاني، 2009، صفحة 50)

فمن خلال ما سبق نجد أن العلاقة بين الدين واللغة من جهة والهوية من جهة أخرى علاقة وثيقة لا يمكن الفصل بينها بأي شكل من الأشكال، فالدين واجهة الهوية وله فضل كبير في ضبط الحدود ورسم طريق واضح المعالم للأفراد والمجتمعات خاصة الإسلامية، لذلك فإدراك الفرد بثقافته العربية والإسلامية، وإحاطة بأهم مصادرها، هو أساس هويته وانتمائه، وسبيل لإقناع الآخر والتأثير به.

3-إشكالية الهوية

في ظل التحولات المتسارعة التي شهدها العالم، أصبح الحديث عن مفهوم الهوية يحتل الصدارة في كل النقاشات وفي جميع المجتمعات، إذ لا تخلو الثقافة من الثقافات المكونة للنسيج الإنساني على وجه البسيطة من سؤال الهوية، وتضاعفت هذه النقاشات مع ما يشهده العالم من محاولات للهيمنة الثقافية التي تتوافق مع مظاهر عولمة تسعى للقضاء على الخصوصيات الهوياتية للأمم وللأوطان التي تقابلها في الجهة الأخرى نداءات تدعو للحفاظ على لغات وثقافات المجتمعات المحلية الشعبية وعلى لهجاتها، إذ ترتبط مسألة الهوية باللغة والثقافة ارتباطا شديدا، وتشكل هذه المفاهيم الثلاثة (الهوية، اللغة، الثقافة) بتداخلها وتعدد معانيها عنصرا مهما في النقاش الذي يدور حول مسوغات بناء الدولة الجزائرية بهويتها الوطنية ولغاتها المتعددة وضرورة الحفاظ على أمنها السياسي والثقافي والاقتصادي (داود، 2018، صفحة 26)، فالهوية مسألة لغوية في جذورها، ولذلك تفهم ظاهرة الهوية بوصفها ظاهرة لغوية.(بلكا و حراز، 2014، صفحة 22)

وتعد الجزائر من بين دول المغرب العربي الذي يتسم وضعها اللغوي بالتعدد، لتوفرها على تنوعات لغوية لهجية مستعملة في الساحة الاجتماعية والتربوية، وذلك بوجود العربية كلغة تعليم أولى والفرنسية باعتبارها لغة أجنبية أولى، والأمازيغية بعد ترسيمها كلغة وطنية ثانية وكلغة تعليمية ثالثة – في بعض المدارس الجزائرية لا كلها- إلى جانب توفر المحيط

الاجتماعي على لهجات ودوارج منها العامية كلغة أم لأغلبية الشعب الجزائري، تشاركها الأمازيغية بلهجاتها المتعددة المتفرعة بين شليحية، ترقية، مزابية... الموزعة على مناطق عديدة من التراب الوطني، فالجزائر تنتمي إلى الفضاء المغاربي الذي يتميز كفضاء لغوي تتداخل فيه أشكال من الأداء الذي يسود في البلاد المغربية، ويصف "لويس كالفي" هذا التعدد بقوله: " تستخدم في بلدان المغرب الحالي ثلاث لغات، العربية والفرنسية واللغة الأم، أما الأوليان فلغة ثقافة وهما لغتان مكتوبتان وتستخدم الفرنسية أيضا لغة محادثة، غير أن اللغة الأم الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة العربية أو البربرية وليست هذه اللغة الأم إلا حالات نادرة ملاحظتنا الكثيرة جدا، لغة مكتوبة".(قلاتي، 2018، صفحة 351)

لعل هذا الواقع اللغوي هو ما دفعنا إلى المحاولة طرح هذا الإشكال لاسيما وأن التنوع الثقافي اللغوي جعل من إشكالية التواصل للفرد الجزائري يعيش وضعا لغويا متأزما أدى إلى الشتات في تكوين الهوية وفي تحديد معالم ذواتهم الاجتماعية ومسايرة التغيرات الاتصالية العالمية في ظل العولمة، مما يدعو فعليا إلى تحليل مشكلة الإدماج الاجتماعي عن طريق لغة مشتركة تعمل على تحقيق تناسق وتكامل الاتصال في الفضاء الجزائري، أكثر تماشيا مع هذا الزخم اللغوي. إنه رهان لغوي يحمل في طياته مسألة لغوية ذات توجه يطرح في شكل أزمة هوية وطنية أو ما يسمى الصراع الهوياتي اللغوي نتيجة لهذا التعدد اللغوي.

ويعود الصراع الهوياتي اللغوي في الجزائر إلى ما خلفه الاستعمار نتيجة لسياسة اللغوية قائمة على أساس القضاء على اللغة العربية، وهو الاتجاه الفرنكفوني الذي يشكل" النخبة المفرنسة المحتكة جدا بالنموذج الثقافي المنقول عبر اللغة الفرنسية والتي تستمد مرجعياتها من العالم الرمزي الغربي والتي ترى بأن أحسن وسيلة للانخراط فيه هو اللغة الفرنسية، اللغة العصرية الحية، لغة التفتح المعبرة عن تطور العصر وتكنولوجيته، إزاء عجز اللغة العربية عن امتطاء قطار التقدم، كما تزعم بذلك".(طالب الابراهيمي، 2007، صفحة 73)

حيث كان يتظاهر بتأييد حركة التعريب ولكنه يعمل في الخلف على عرقلته وذلك بتحقيق تعريب سطحي لا يغير من الواقع شيء، مما أدى إلى إضعاف اللغة العربية في أدائها الوظيفي في الحياة اليومية. برغم وطنيتها المرسمة في الدستور الجزائري، ومما زاد من حدة هذه الأزمة مواقف العداء السلبي منها، وهو إدخال بعض دعاة الأمازيغية والعامية في صراع مفتعل مع الفصحى، لتبقى الحصيلة النهائية هي هيمنة الحركة الفرنكوفونية على حساب اللغة العربية التي غدت ضعيفة. ولذلك فإن الاختلالات التي تعيشها العربية نتيجة ضعف إدارة المسألة اللغوية، وهذا ما يشير إلى عدم وجود إدارة سياسية كافية لتنمية هذه اللغة الرسمية التي تمثل" الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتنقل بواسطته أفكار الشعب وعاداته وتقاليده وروحه وطموحه ويقول تركي رابح في هذا: قلب الشعب إنما ينبض حقا وصدقا في لغته القومية، وروح الشعب إنما تكمن حقا وصدقا في لغة الآباء والأجداد، ومن هنا فإن كل أمة تنبذ لغتها القومية أو تتهاون بشأنها، وتصطنع لغة غيرها في حياتها العامة أو الخاصة، إلا وتفقد شيئا فشيئا حياتها وكيانها حتى تذوب في نهاية الأمر في كيان الأمة التي اقتبست لغتها شعرت بذلك أم لم تشعر".(تركي، 1982، صفحة 294).

ولذلك فإن كل أمة تتمسك بلغتها القومية وتعمل على المحافظة عليها انما تعمل في الواقع، المحافظة على أهم مقومات الهوية الوطنية ويكون هذا العمل منها دليلا على بقائها حية بين الأمم والمجتمعات.

4- عوامل ضعف الهوية اللغوية العربية وأثرها على اللغة العربية

إن الواقع اللغوي المختلف والمتنوع يعكس تواجدا لغويا لا متجانس، تبرز في أحد مظاهره الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، وإضافة لما فرضته التغيرات الاجتماعية المعاصرة، كلها عوامل ساهمت في بروز أزمة الهوية اللغوية انعكس أثارها على مستوى اللغة العربية في الأوساط التعليمية، نعرض منهاما يلي:

4-1الازدواجيةاللغوية Diglossia: قد استخدم في هذا المصطلح لأول مرة في الإنجليزية عن طريق شارلز فرجسون charlesferguson في عام 1959، "ومفهوم الازدواجية اللغوية عند فرجسون، هناك شكلان لغويان مختلفان نوعا ما لنفس اللغة، والذي يسمى أحدهما باللهجة العليا، ويسمى الاخر باللهجة الدنيا، ففي العربية، العربية الفصحى، لغة القرآن هي العليا بينما تعود اللهجة الدنيا إلى الأشكال العامية المختلفة من اللغة، التي تختلف من بلد عربي لآخر".(فاسولد، 2000، صفحة 58)

وواقع اللغة في الجزائر تشهد استحضار للغة الفصحى والعامية، حيث يأخذ الشكل الدنيا في العامية العربية والأمازيغية الأكثر انتشارا واستقرارا في الواقع اللغوي الجزائري وتستعمل في المجالات غير الرسمية، وفي دراسة العلاقة بين اللغة العربية والهوية، ناقش كثر مسألة تحديد التنوع اللغوي الذي يمثل لغة هوية اجتماعية للعرب، وهي قضية إشكالية معروفة فكريا، ورغم أن معظم الباحثين العرب يميلون إلى الاعتقاد بأن التنوع الفصيح هو الذي يمثل أحد محددات الهوية العربية، إلا أن الكثيرين أشاروا إلى أن وجود التنوعات اللهجية واستعمالها في التواصل غير الرسمي وحتى الرسمي الشفوي، أضعف الهوية اللغوية العربية وأثر سلبا على ارتباط العرب بالعربية الفصحى، إذ أدى إلى ضعف الكفاية اللغوية في العربية الفصحى، ونأى بها عن التعبير عن الحياة الاجتماعية والواقع المعاش حيث تولت العامية ذلك، ومنه انحصر مجال استخدام العربية الفصيحة.(بضياف و لبوخ، 2016، صفحة 203) ويقول محمد الفخراني: " فإزدواج العامية والفصحى يترك أثرا سيئا على لسان الطلاب والمثقفين عموما، إذ يقع كثير منهم في مجموعة من أخطاء اللغوية ويتسمون بالضعف اللغوي، حيث تتسرب إلى الفصحى في أغلب الأحيان استعمالات العامية من غير أن يكون ثمة صقل للغة المتعلمين غالبا، ناهيك عن انتشار ازدراء الطلاب للعربية وانصرافهم عن دخول أقسامها وكلياتها...".(الفخراني، 2010، الصفحات 255-256)

لكن من المؤسف أن فكرة استقلال العامية قد أخذت أبعاد واسعة في هذا العصر وأصبحت تصطبغ بها معظم البرامج في الإذاعات المرئية والمسموعة، كما أخذت بعض اللهجات العامية في البلاد العربية تتصدر برامج الفضائيات كما نادى الكثيرون في العديد من المناسبات بوجوب الاعتراف بالعامية لغة الثقافة والكتابة، وذلك بتداعيهم حجة أن العربية الفصحى صعبة الفهم لتعقد قواعدها وأنها قاصرة عن استيعاب علوم العصر، وجمودها وانتماءها إلى عصور قديمة بادت وانقرضت والدعوة إلى إحلال اللهجات العامية محلها.

وتمثل تلك الاتهامات تحديات خطيرة تواجه اللغة العربية الفصحى، وتهدد كيان الهوية الجزائرية لأن اللغة هوية الأمة بعاداتها وتقاليدها وتاريخها وانجازاتها، "فالعرب أمة واحدة واللغة العربية هي الرابطة الأولى والأساس بين أبناء هذه الأمة،

كما يذهب إلى ذلك ساطع الحصري (أبو القومية العربية)، إذ يقول: " إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية، وحدة اللغة ووحدة التاريخ".(العاني، 2009، صفحة 30)

4-2الثنائية اللغوية Bilinguialism:تعد هي الأخرى من بين الظواهر اللغوية المنتشرة في المجتمع الجزائري إن يتواصل أفراده بلغتين مختلفين سواء باللغة العربية والفرنسية أو اللغة العربية والإنجليزية، ويتمحور هنا موضوع المسألة اللغوية في اهتمام اللغات وتعلمها على حساب اللغة العربية "وخاصة في المراحل العمرية الأولى وهي مراحل الاكتساب اللغوي التي تستمر حتى عمر 13 سنة تقريبا ولا يخفى على أحد الأثر الذي يتركه تعلم هذه اللغات الأجنبية على اللغة الأم (العربية) من جوانب شتى ".(البديرات و البطانية، 2016، صفحة 38)

وما يعنينا منها في الدراسة هو جانب الهوية اللغوية، فإن الشعور بقصور اللغة الأم أو الجهل بمكانتها وبما فيها من طاقات وإمكانيات، أو الإحساس بالضعف فيها والعجز عن استخدامها بمرونة، أو مهارة كافية ربما يدفع إلى التشبث بلغة أخرى، لغة أجنبية أكثر إغراء. ويشجع على الاعتصام بهذه اللغة على أساس أنها الأنسب وأعلى مستوى وأكثر هيمنة وانتشارا، مما يزداد الاقتراض من هذه اللغة الأجنبية، ويكثر التداخل بينها وبين اللغة الأصلية فينشأ ما يسمى بالثنائية اللغوية، وهذا ما نشهده في الواقع الجزائري نتيجة ما مرت به الجزائر خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي، حيث ركز هذا الأخير سياسته "منذ بداية احتلالها على طعن الشخصية القومية للشعب الجزائري في لغتها القومية وهي اللغة العربية أولا- ثم بعد ذلك وجهت طعناتها الواحدة بعد الأخرى إلى تراثه الثقافي والحضاري على أساس القضاء على اللغة العربية وكذلك القضاء على الثقافة العربية الإسلامية بقصد إماتتها معا، حتى تتكون الأجيال الجزائرية الناشئة تكوينا مشوها وممسوخا وبالتالي تنشأ تلك الأجيال بلا أصالة ولا عمق، لأنهم يجهلون لغة أمتهم وتاريخ وطنهم وثقافة شعبهم".(تركي، 1982، صفحة 294)

وعلى اثر هذه السياسة الاستعمارية نشهد في واقع الحقل اللغوي، نوع من الصراع النفسي والثقافي على مستوى النسيج الاجتماعي، تحت وطأة تغليب اللغة الفرنسية وهيمنتها على حساب اللغة العربية، بدرجة تهدد كيان الأمة وعقيدتها وجعلت من الفرد الجزائري حائرا بين قيم والثقافة اللغة الأولى وقيم وثقافة اللغة الثانية المستعمرة، وهذا بدوره تغلغل أثاره في أوساط التعليمية، وأصبح يعاني ضعفا لغويا إثر هذا الخليط اللغوي، يقف أمامه الباحثين وذوي الاختصاص عاجزين أمام هذا الوضع الذي يشكل معضلة أمام ارتقاء بالمستوى الثقافي والحضاري للأمة.

4-3لغةالأسرة: تعد الأسرة المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطفل تعليمه السليقي حيث يكتسب لغة تلك الأسرة التي يعيش فيها وتحمله من تجاوزات لغوية والتي تكون رغم هذه التجاوزات هي اللغة التي يعتمد عليها في تواصله اليومي بما في ذلك تواصله المدرسي، يجعله يكتسب عادات وسلوكات لغوية متأصلة في معجمه اللغوي، تكون حاجزا أمام المتعلم في تواصله المدرسي المرغوب فيه بلغة عربية سليمة المبنى والمعنى (قلاتي، 2018، صفحة 354)، ويدل كل هذا على نقص في رعاية الأسرة بتمليك أبنائهم للفصيحة، وفي جعلهم يمارسونها، وهذا النقص يتجلى في عدة جوانب وهي:(بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية-جامعة تيزي وزو نموذجا-، 2009، الصفحات 52-53)

-تحدث الآباء مع أبنائهم باللهجة العامية وتفضيل البعض الآخر إقحام اللغة الفرنسية ما ينجر عنه تداخل لغوي.

-عدم عناية الأسرة بتحفيظ أبنائهم لأجزاء من القرآن الكريم، ويقول ابن خلدون في تعليم الولدان: "وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده... والمتعلمون لذلك في الصغر أشد استحكاما لملكاتهم".

-إن الأسرة العربية عامة لا تولي أهمية إلى وجود مكتبة عربية في البيت، لكي تمكن الأطفال من إتقان الفصحى نطقا وكتابة، أضف إلى ذلك أن المواطن العربي عامة لا يقرأ مقارنة بالمواطن الغربي، إذ تشير الإحصائيات إلى أن معدل القراءة في إسرائيل هو 40 كتابا للفرد الواحد (طبعا باللغة العبرية وهي لغة ميتة تحييها دولة إسرائيل) وفي معظم الدول الغربية 35 كتابا للفرد وفي السنغال 4 كتب للفرد، وفي بلادنا كتاب واحد لكل 80 فردا (طبعا باللغة العربية وهي لغة حية تميتها الدول العربية)

- عدم وجود عملية تنسيقية بين الأسرة والمدرسة قبل التحاق الطفل إلى مقاعد الدراسة فمن الضروري اكتساب الطفل من البيت الكلمات المفاتيح التي تؤهله تحريك زمام العربية...إلخ

فاللغة ملكة يكتسبها الإنسان من الأسرة والمجتمع بالفطرة، ومن خلالها يتمكن من إنشاء جمل صحيحة خاضعة إلى قواعد لغوية معينة، تستلزم النطق السليم لها وتجعله يستهجن ويستحسن أخرى لكنه يصبح عاجزا عن أداء هذه اللغة وإذا تدخلت ملكة أخرى (لغة أخرى) تؤدي إلى ضعف اللغة الأولى.

4-4المعلم/المتعلم: يتخذ المعلم في المناهج الدراسية السابقة صفة المركز باعتباره صاحب المعرفة ومنشئها ومبلغها مع أهله بأن يتخذ هذه المكانة، إذ يعمل على تلقين المعرفة كيفما يراها ووفق الخطة التي يرسمها، الا ان المناهج الجديدة وعلى رأسها المقاربة بالكفاءات تفطنت إلى الحقيقة تلقي المعرفة، إذ أن الفرد هو الذي يضع معرفته بنفسه وفق ما يراه مناسبا لذاته خاضعا إلى مجموع قدراته الفكرية والبيولوجية والنفسية، مما جعل هذه المناهج تبنى على المتعلم وجعله هو محور العملية التعليمية التعلمية(فلاتي، 2018، صفحة 254)، إلا أن العملية لا تخلو من بعض العوائق علينا الاعتراف بها وهي: (بلعيد، 2004، صفحة 236)

-معلم العربية يشكو من نقص في إعداده أو نقص استعداده.

-غزو العاميات كل قاعات الدروس والمحاضرات.

-اضطراب مستويات كتب النحو والصرف والنقل عن بعضها البعض في ظل غياب الإبداع.

-كثافة التلاميذ والطلاب في الأقسام.

-تعدد طرائق تدريس هذه المادة، وهي لا تخرج من: الطريقة الاستقرائية أو طريقة النص أو طريقة القياسية، وهذه الطرائق تلقى الآن معارضة.

-أثر معلمي المواد الأخرى غير اللغة العربية في تعليم العربية، فهؤلاء الأساتذة يدرسون بالعاميات وأحيانا بلغات أخرى، فيؤثر ذلك على مردود وجمال العربية.

-مزاحمة اللغة الأجنبية للغة العربية.

-طغيان العامية على الفصحى.

-عدم توفر بحوث علمية لتدريس النحو والصرف.

إن المتأمل في واقع اللغة العربية هذه الأيام يرى أنها قد أهملت على يد أبنائها ويصح أن نقول إن هناك أزمة لغوية وضعفا وفسادا للذوق اللغوي ولا نستطيع أن نناقش أية ظاهرة مما تقدم بمعزل عن عمليات تعليم اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا، وعليه فإن مسألة اللغوية في المدرسة الجزائرية أصبحت قضية تؤرق ذوي اختصاص والاهتمام في التربية، وأصبح اهتمامالنظام التعليمي في مستوياته كافة بمسألة اللغة العربية الفصيحة ضرورة ملحة.

4-5 قلة الناتج العلمي باللغة العربية: إن المستعرض للتاريخ العربي والإسلامي وقف مفتخرا بهذا التاريخ العلمي الثري الذي أدهش العالم طوال تسعة قرون من العطاء والإنتاج في شتى ميادين المعرفة، أما اليوم فالناظر يرى عجبا من ضعف الإنتاج العلمي في اللغة العربية مقارنة بما تنتجه أمم أُقل عددا وخبرة وتراثا، حيث تستمد اللغة مكانتها من أهميتها الثقافية في ضوء عدد الكتب من جانب، وحركة الترجمة وعدد البحوث العلمية من جانب آخر. فقد كشف تقرير لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (الألسكو) التابعة لجامعة الدول العربية ومقرها تونس، أن اللغة العربية تمثل (4)%من مجموع اللغات الحاضرة على الشبكة العنكبوتية مقابل (47%) للإنجليزية و(9%) للصينية و(8%) لليابانية و(6%) للألمانية و(4%) للإسبانية والفرنسية. وأشار التقرير إلى أن اللغة العربية تحتل المرتبة (27) من حيث عدد الكتب المترجمة وأن (6881) كتابا فقط ترجم إلى العربية منذ عام (1970) وهو رقم قليل يعادل الكتب المترجمة إلى اللغة (الليتوانية) في الفترة ذاتها وهي التي لا يتجاوز عدد الناطقين بها أربعة ملايين.(البديرات و البطانية، 2016، الصفحات 40-41)

تعد الترجمة العلمية من آليات ووسائل إغناء اللغة العلمية والتكنولوجية للقوى العاملة وبالتالي من وسائل النهوض الاقتصادي والاجتماعي، ولهذا إن إتقان العربية حاجة ضرورية خاصة في هذه المرحلة التي يزداد الإقبال على الترجمة وتعميم استعمال اللغة العربية للوقوف على التطور العلمي والفني وآخر مستجدات العلم عند الأمم الأخرى، "الا أن ترجمة المادة العلمية ليست بالأمر الهين، لكن مقدار استفادة المجتمع من العلوم المكتوبة باللغة العربية سيكون بلا شك أكبر من مقدار استفادته من البحوث باللغة الأجنبية لأن التنمية الفكرية الاجتماعية لا يمكن أن تكون إلا بلغة المجتمع."(بضياف و لبوخ، 2016، صفحة 208)

4-6وسائل الإعلام: لقد فرضت وسائل الإعلام هيمنتها على حياة الإنسان، خاصة بعد التقدم العلمي الكبير والتكنولوجيا العصرية التي مستها في مختلف جوانبها. وإن أخطر وسائل إضعاف اللغة هي استخدام العامية والفرنسية في وسائل الإعلام عامة والفضائيات خاصة، فعلى الرغم من أن عدد القنوات الفضائية العربية يزيد عن 192 قناة حكومية وخاصة، عامة ومتخصصة إلا أن البرامج التي تقدم بالفصحى قليلة ومعظمها سيء التنفيذ والإخراج، ويغيب فيه التركيز بجماليات اللغة العربية. (بلعيد، 2009، صفحة 60)

وما نلحظه اليوم من دخول بعض الكلمات لا هي أعجمية ولا فارسية ولا حتى "فرانكوآراب" خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي أين يشار لحرف الحاء بالرقم 7، وحرف العين بـ 3 وتكتب بقية الحروف بالفرنسية فهذا ليس نوعا من

اللغات التي ترفع الرصيد المعرفي وإنما وسيلة لابتعاد عن العروبة وقيمها والترحيب بالدخيل على هويتنا.(عبران، 2018، صفحة 208) ومن خلال ما سبق ناكد أهمية وسائل الاعلام في مكانة اللغة بين الأمم، فكما له ان يساهم في رقيها قد يكون سببا في ضعفها اللغوي، وانحلال قيمها وعاداتها، فعلاقته بتشكل الهوية علاقة وطيدة التي تعتمد على مدى ارتقاء سلوك اللغوي للفرد.

5- التخطيط والسياسة اللغوية

تعتبر السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن.(كالفي، 2006، صفحة 111)فالوسائل المختلفة المسخرة لتغير وتحويل الاستعمالات اللغوية التي تعتمدها جماعة لغوية ما في مجتمع ما أو لشعب ما في إطار جهود التخطيط اللغوية المبذولة من قبل العديد من البلدان عبر العالم تشكل في الواقع محاولات عقلانية وواعية لا بغرض التأثير على الاداءات بشكل دائم ومبرم فحسب، بل وبخاصة لتوجيهها صوب هدف محدد سلفا:

"إن التخطيط هو في الغالب من مشمولات السياسة الحكومية التي تنتجها الدولة وغالبا ما تعد جزءا لا يتجزأ من سياسة البلاد التربوية والثقافية، فالدولة مجبرة على اتخاذ بعض الإجراءات من أجل تحسين أو تغيير استعمالات اللغوية تغييرا جذريا، والسلطة هنا تلعب دورا من أجل فرضها وجعلها ذات مصداقية في أعين الرأي العام".(طالب الابراهيمي، 2007، صفحة 190)

فالتخطيط اللغوي تتشعب أبعاده وتتداخل مع الأنظمة والمؤسسات، ويستدعي في ذلك مرونة كبيرة تسمح بتشكل الخطط وتقويم نتائجها، ثم إن مصطلح التخطيط اللغوي على المستوى العربي كالجزائر، فإننا لا نكاد نحصل على شيء محدد من خطط تعليم اللغة العربية سوى سياسة التعريب. فالحديث عن التخطيط اللغوي في الجزائر "يجب أن نقر في البداية ونقول: إن المسالة اللغوية، مطروحة عندنا، فإننا نجد في محيطنا التعدد اللغوي، حيث تشكل الرباعية اللغوية محيطا كبيرا في العاصمة، وفي كثير من ولايات الشرق والجنوب نجد ثنائية جماعية، ونجد ثلاثية لغوية جماعية في ولايات الوسط، وهذا يشكل أحيانا عائقا من عوائق التحكم في اللغة الرسمية.

إن اللغة العربية لغة متعددة الفنون ومتشعبة الأفنان كما نعرف أن الفصحى لا تستخدم في عصرنا الحاضر في الحياة اليومية، رغم أن اللغة العربية الموظفة الآن تحمل بعض خصائص الفصحى، والمتأمل في هذه اللغة الواسعة يلاحظ في كل حقبة من الزمان تغيرات في الأساليب والتعابير المستعملة، يتقبلها الجمهور فلا تلبث أن تدخل في المستعمل الشائع علما أن سعة القياس تبيح لنا ذلك، وهذا ما كان مشكلا ذات يوم".(بلعيد، 2004، الصفحات 160-161)

" لقد تم المصادقة على قانون تعميم استعمال اللغة العربية في 17ديسمبر1996 من طرف المجلس الانتقالي، ليكون هذا القرار مكملا لتلك الجهود الرامية إلى التعريب الذي افتتحها الرئيس الراحل هواري بومدين بعيد الاستقلال. لكن العبرة ليست بسن القوانين ولا بإدراج مادة في الدستور تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، ولا بإصدار مذكرات

وزارية، ورسم مشروع مستقبلي وطموح، وإنما العبرة بالواقع الفعلي لهذه اللغة أي بالإجراءات العملية التي تنفذ لصالح هذه اللغة".(فيران، 2016، صفحة 97)

إن الغاية من عملية التعريب هي جعل اللغة العربية لغة حضارة عصرية تحتل جل المواقع التي تحتلها اللغة الفرنسية في مجال الحداثة فالتعريب في الجزائر قضية متعلقة بالهوية والتراث، والشخصية العربية الإسلامية، كما تعلق بالتفتح على الأخر من الحضارة الأجنبية، فهو الذي يعطي للجزائر مفهوم الوحدة بمضمونها الحضاري المعاصر ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعيات الاقتصادية والثقافية، لكن لم يكن من السهل إطلاقا إحلال اللغة العربية موقعها الطبيعي في مرحلة الاستقلال، كون اللغة الفرنسية تغلغلت في النسيج الثقافي والسياسي واستمرت لفترة طويلة في الإدارة والاقتصاد والمؤسسات.

وهذا يعود كما ذكرنا سابقا، كيف ان لتيار المفرنس أو الفرانكفوني اثر في حركة التعريب واضعاف الأداء الوظيفي للغة العربية في حياة اليومية، اذ ينادي هذا التيار بالتعدد اللغوي الرسمي أو العودة إلى الأصالة اللغوية؛ بل رفض الإسلام والبحث في الأصول الأولى للهوية (كإحياء اللغة الأمازيغية وتعميمها)، "و ذهب عبد الله شريط في تبيان أصولها الثقافية، والفكرية شوطا كبيرا عندما صرح بأن هؤلاء المثقفين–أصحاب الاتجاه الفرانكفوني– كانوا يمثلون المشهد الثقافي الوطني من دون وجود تصنيف ولا ترتيب ولا انتقاء حسب معايير ومقاييس مهيأة لخدمة أغراض خاصة، يقول في كتابه sur la politique de l’enseignement et de l’arabisationsاسنة 1983م: سياسة التعريب لم يضعها المعربون بل اقترحها ودعمها جهاز كامل يعمل فيه المفرنسون والمزدوجوا اللغة والمعربون".(عيادي، 2014، صفحة 128)

وكان من الطبيعي أن تواجه الجزائر عراقيل في ميدان التعريب بحكم ثقل الإرث الاستعماري طول فترته، وهيمنة التكوين الفرنسي على الكفاءات الجزائرية، وقلة ذوي التكوين العربي كما أن هناك ثمة تناقضات تصعب من عملية التعريب وهي: (عزاز، 2018)

– التناقض بين اللغة العربية والفرنسية داخل الجهاز الدولة وهياكلها الاقتصادية والاجتماعية.

– التناقض بين اللغة العربية والمنطوق اليومي ممثلا اللهجات المحلية العربية والبربرية.

– التناقض بين اللغة المدروسة في المدارس وبين الاستعمالات اللغوية اليومية السائدة.

وفي ظل هذه المصاعب يكمن المشكل، حيث يلاحظ العجز في إحلال العربية محلها في الحياة اليومية، وفي ابعادها الثقافية والذهنية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم تأتي استراتيجيات السلطة السياسية لتوظيف هذه التناقضات، فبقي استعمال اللغة الفرنسية لتؤكد وراثتها دولة الاستعمار ثقافة ومؤسسات، في حين لا يمل الخطاب السياسي من تكرار الإصرار على استعمال اللغة العربية في كل المجالات في محاولة لاكتساب مشروعية مصدرها المجتمع.

– الخاتمة

إن مسألة اللغة وعلاقتها بالهوية أخطر وأعمق من أن نعالجها في سطور قليلة، إن التاريخ قديمه وحديثه يؤكد لنا أن كل الصراعات والحروب التي عرفتها البشرية إنما قامت على أساس الصراع بين اللغات وبين الهويات المختلفة، والاستعمار بمختلف أشكاله عمل دوما على طمس هوية الشعوب المستعمرة من خلال محاولته القضاء على لغات تلك الشعوب، لأن

اللغة هي المقوم الأساسي والمخزن الخاص لقيمها وثقافتها، وهي الوسيلة الفعالة التي تمكن من تفكيك قواها من داخلها واحتوائها عاطفيا وفكريا، وبالتالي التحكم في مصيرها فتصبح تابعة له خاضعة لسيطرته.

وعلى أساس الواقع اللغوي في الجزائر، أضحى الصدام اللغوي جليا بين لغات وطنية وأجنبية ومحلية، أثر في تعليمية أبنائنا اللغة العربية، وأزاحتها عن مكانتها الأصلية أفضى لخلق ظاهرة أكثر سلبية تؤسس لوضع لغوي يؤسف له، يطمس في ذلك أهم مقومات الهوية الوطنية والثقافية للمتعلم ويؤثر على تكوين الشخصية اللغوية، مما يستوجب وجود اهتمام بترقيتها، واهتمام من قبل أولي الأمر، ونخب المثقفين، كما يستدعي وجود قرار سياسي ملزم يتماشى بطريقة منهجية معتمد على سياسة تخطيط لغوي محكم يحترم الثوابت والمبادئ الوطنية في ذلك وهذا ما يتطلب تناسق جهود سلطات الدولة والمؤسسات والافراد في تعميم استعمال اللغة العربية وتطويرها والحفاظ عنها، مادام هنالك أمل في مستقبل هذه اللغة، التي كانت وما تزال وستبقى حافظة التراث العربي الإسلامي ومرجع الهوية الوطنية والوعاء الذي يتسع كلما ضاقت سبل الثقافات فهي الجامع المشترك الذي يستوعب كل أطياف المجتمع الجزائري.

– التوصيات

– وفي سبيل النهوض بلغة الضاد في بلادنا، نقترح مجموعة من المبادرات في اتجاه تأهيل هذه اللغة وتنميتها بشكل فاعل في حياة المجتمع، ومن أبرز هذه التوصيات نذكر:

– ضرورة إعداد خطة وطنية للسياسة اللغوية، بتشريع قوانين فاعلة لحماية اللغة العربية وضمان تطبيق قواعدها.

– ضرورة إشراك مؤسسات المجتمع المدني في جهود حماية اللغة الوطنية بشكل إيجابي وفاعل.

– تعزيز الوعي اللغوي والانتماء إلى الأمة ولغتها الأم على جميع المستويات.

– إنشاء مراكز بحث لدراسة الظواهر السلبية على تعليم اللغة العربية.

– تعزيز جانب الترجمة بين اللغة العربية ودعمها ماديا ومعنويا.

– محاولة دراسة وتحليل الخريطة اللغوية بكل موضوعية بعيدا عن كل الحساسيات.

– تكثيف دور المجامع اللغوية من تأليف المعاجم، وتطوير مناهج تدريس اللغة العربية، والمجالس العليا وتفعيلها لترقية اللغة العربية.

– تضافر جهود كل من المفكرين وأصحاب القرار الفاعلين التربويين وأصحاب المؤسسات للوقوف والتصدي لتحديات العولمة والتكنولوجيا من خلال غرس روح المواطنة والانتماء وحب اللغة العربية لتعزيز معالم الهوية والانتقال من الإطار النظري إلى التجسيد العملي حفاظا على أمن لغتنا ودیننا ووطننا.

– قائمة المراجع

- *احمد محمد ابو السعود الفخراني. (2010). من أصول فقه اللغة–اللهجات والتعريب والازدواج اللغوي–،ط1. القاهرة: دار الكتاب* الحديث.
- الياس بلكا، و محمد حراز. (2014). *إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي–المغرب نموذجا–،ط1.* ابوظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- باسم يونس البديرات، و حسين محمد البطانية. (2016). اللغة وأثرها في تحذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة. *مقاليد*(10)، الصفحات 33-47.
- حسينة عزاز. (2018). *اللغة العربية في الجزائر بين التعريب والفرنسة.* تاريخ الاسترداد 14 11, 2020، من عود الند مجلة ثقافية،العدد08: https : //www.oudnad.net
- خليل نوري مسيهر العاني. (2009). *الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية سلسلةالدراسات الاسلامية المعاصرة(58)،ط1.* العراق: دار الكتب والوثائق العراقية.
- خولة طالب الابراهيمي. (2007). *الجزائريون والمسألة اللغوية.* (محمد يحياتين، المترجمون) الجزائر: دار الحكمة.
- رابح تركي. (1982). *أصول التربية والتعليم.* الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- رالف فاسولد. (2000). *علم اللغة الاجتماعي للمجتمع،.* (ابراهيم بن صالح محمد الفلاي، المترجمون) الرياض: النشر العلمي والمطابع جامعة الملك السعود.
- سعاد بضياف، و بوجملين لبوخ. (2016). أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية. *مجلة الاثر ،جامعة ورقلة*،(25)، 195-210.
- سعيد عيادي. (2014). *أثريات المسألة اللغوية في الجزائر.* الجزائر: بن مرابط لنشر والتوزيع.
- صالح بلعيد. (2004). *مقالات لغوية.* الجزائر: دار هومة.
- صالح بلعيد. (2009). *ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية–جامعة تيزي وزو نموذجا–.* الجزائر: دار هومة.
- عاطف عبران. (2018). الهوية الوطنية...ارضية مرجعية ثقافية. *ورقة عمل مقدمة ليوم دراسي بعنوان الامن الثقافي واللغوي والاتسجام الجمعي ، المجلس الاعلى للغة العربية ،تاريخ الانعقاد 2018/02/18* (الصفحات 203-219). الجزائر: دار الخلدونية.
- علي شتا السيد. (1996). *علم الاجتماع اللغوي.* الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- كاهنة محيوت. (2013). قراءة في كتاب (الجزائريون والمسالة اللغوية)،ترجمة يحياتين محمد. *مخبر الممارسات اللغوية،جامعة تيزي وزو*(19)، 1-16.
- كمال بشر. (1997). *علم اللغة الاجتماعي،ط3.* القاهرة: دار الغريب.
- لويس جان كالفي. (2006). *علم الاجتماع اللغوي.* (محمد يحياتين، المترجمون) حيدرة: دار القصبة.

- ليلى قلاتي. (2018). دواعي التداخل اللغوي وانعكاساته على تعلم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية. *مجلة الجسور المعرفة ،جامعة شلف،، 04*(16)، 348-359.
- محمد داود. (2018). الهوية والتعدد اللغوي والثقافي في الجزائر واقع ورهانات. *ورقة عمل مقدمة ليوم دراسي بعنوان الامن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، المجلس الاعلى للغة العربية ،تارخ الانعقاد 2018/02/08* (الصفحات 25-41). الجزائر: دار الخلدونية.
- محمد عاطف غيث. (1979). *قاموس علم الاجتماع*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مسعود جبران. (2003). *رائد الطلاب-معجم لغوي عصري-للطلاب،ط23*. بيروت: دار العلم للملايين.
- مقران شطة. (2017). المسألة اللغوية في الجزائر مواقف وأفكار "خولة طالب الإبراهيمي" نموذجا. *مجلة مقري للدراسات اللغوية النظرية التطبيقية ،جامعة المسيلة،*، 176-185.
- نجوى فيران. (2016). اللغات في الجزائر من ساحة الحروب اللغوية إلى ميدان المواطنة اللغوية. *مجلة العلوم و المعرفة،جامعةالجلفة،*(26)، 90-103.